Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولعله رشح لهذا المعنى بالبيت الخامس الذي يسبق هذه الأبيات مباشرة ، ليقول لكافور انه كالأسد الضاري الذي لن يقبل أن يعيش على الطوى ، بل سيعيش حياته بالطول وبالعرض كما كان . وأنه لم يترك سيف الدولة إلا ليحقق ذاته ، على الرغم من هذا الحب العميق الذي يحمله له .

وما معنى أن يتحدث في المشهد الثاني عن خيله ورماحه وسيوفه والأهوال التي صادفته في رحلته إلى كافور في ستة أبيات ، ولم يشر إلى كافور إلا في بيت واحد هو مطلع هذا المشهد . ويتحدث عنه فيه حديثاً عاماً بضمير الغائب يصلح أن يكون حديثاً عن كل ملك في مصر :

ولكن بالفسطاط بحراً أزرته حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

كيف يمكن أن نفهم بيتاً في المشهد الأول كهذا البيت الذي يقول فيه :

إذا الجود لم يرزق خلاصاً عن الأذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا ؟

الذين يأخذون الأمور بظواهرها ، يقولون عن هذا المشهد الأول ، إنه مقدمة للقصيدة مثل تلك المقدمات الغزلية المألوفة في الشعر العربي ، ولكن المتنبي يتحدث فيها عن نفسه ، وبعضهم يأخذ عليه أنه أساء الأدب ، لأنه ما كان يصح أن يبدأ مدحه لكافور بهذه المقدمة الخشنة الفجة .

وأعتقد أن هؤلاء لم يدخلوا إلى باطن هذه التجربة ، لأن أبا الطيب أحس فجأة وهو يحاول أن يتحدث عن كافور بكل هذه المشاعر التي عبر عنها في هذا المشهد الأول . واعتركت مع عقله ، واعترك معها ، فتحولت إلى تجربة عميقة . ولهذا سميتها « لوحة الحب الحزين » . ونحن نلاحظ أن هذا المشهد الذي لم يتجاوز بضعة أبيات ، قد استنفد كل مشاعره ولهذا جاءت الأبيات الباقية من القصيدة وقد بلغت خمسة وثلاثين بيتاً هوامش عابرة على هذه التجربة العاتية يمدح فيها كافوراً مدحاً من وراء القلب ، لأنه يكن له في أعماقه الاحتقار . فيتحدث عنه بأنه « إنسان عين زمانه » وأنه سرى إليه من ظهور أجداده ليستقبله . وأنه يبيد عداوات الطغاة بلطفه ، وأنه عصامي . وغيرها وغيرها من المعاني العامة التي لا تشكل تجربة فنية . ولعل هذا المنهج في مدح كافور جعل بعض الأبيات يحتمل المدح والذم . ولقد فطن إلى هذا بعض الشراح القدامى لديوان المتنبي فابن جني مثلاً يعلق على هذا البيت :

وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكاً للعراقين واليا